



مدينتي قسنطينة ومازونة تاريخ حافل وحضارة عريقة

Constantine and Mazouna cities :long tradition and ancient civilization

خالصة شراحيل^(*)

جامعة عنابة ، الجزائر

khalisaarch@gmail.com

اسماعيل بن نعمان

جامعة الجزائر 2 ، الجزائر

Bennamane69@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2020/01/31

تاريخ القبول: 2019/07/13

تاريخ الإيداع: 2019/05/25

الملخص:

اخرنا في دراستنا هذه نموذجين من المدن التاريخية والأثرية وهما مدينة قسنطينة في الشرق الجزائري ومدينة مازونة في الغرب الجزائري، وما تضمه هذه المدن من معالم أثرية هامة، وما تعانیه هذه المعالم من إهمال، وسلطنا الضوء على أهمها، وقد تنوعت الحضارات التي مرت بها منذ فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الاستعمارية، وتنوعت العمارة بها من دينية ومدينة وعسكرية، ومنها بمدينة قسنطينة موقع تيديس الروماني ومساجد المدينة التي تنتشر عبر أحيائها القديمة، ومسكنها التي تهدم وتتغير معالمها، أما مدينة مازونة العريقة فهي الأخرى تضم معالم لا يمكن وضعها في طي النسيان، وهذا ما شاهدناه في محيطها من آثار منتشرة في نواحيها وأغلبها مهملة، وبعضها لا يحظى بأدنى شروط المحافظة، وقد تناولنا في مقالنا أهمية هذه المواقع في التاريخ وإبرازها للوجود، وإمكانية استغلالها وضرورة حمايتها من الاندثار، وجعلها مواقع استقطاب سياحي بامتياز.

الكلمات الدالة:

(*) المؤلف المرسل : شراحيل خالصة: khalisaarch@gmail.com



تاريخ قسنطينة، تاريخ مازونة، عمران ، معالم أثرية .

Abstract:

We have chosen – in our study – two models of the historic archaeological cities :Constantine city in the east of Algeria ,and Mazouna city in the ouest of Algeria in order to shed light on their important monuments and the negleject which they suffer from .These monuments have varied according to the various successive civilizations from the prehistory to the colonial period ,so, the two cities are characterized by a rich architecture ranging from religious ,civil and military as we can see in the Roman archaeological site of « Tiddis » in Constantine city and the mosques deployed throughout its old neighborhoods and destroyed houses ,in addition to the ancient city of « Mazouna » containing memorable monuments deployed all over of it and the most of them are neglected and unprotected .

In this article we try to discuss the historic importance of these sites and to show their potential to be exploited ,and the necessity to protect them from extinction and making them perfect attractive touristic sites.

Key Words:

Constantine history; Mazouna history ; Architecture ; Monuments.

1. مقدمة:

إن الموروث الثقافي المادي بالجزائر ثري ومتنوع وذلك بفضل شساعة القطر الجزائري وتنوع الطبيعة فيه من تل وهضاب وصحراء، مما استغله الإنسان منذ القديم في صناعة حضارة حسب طبيعة البيئة التي عاش فيها، فقد واجه الإنسان ظروف معيشة صعبة ولكنه استطاع أن يتأقلم معها واستغلال ما يصادفه لتحسين طبيعة حياته نحو الأفضل، ولقد ظل الإنسان لفترة تقترب من مليون عام يعيش على الصيد، ثم تطورت قدراته العقلية وتخيلاته ومهارته ليرتقي إلى مستوى أفضل، وقد اخترنا في دراستنا هذه نموذجين واحد من الشرق الجزائري، وآخر بالغرب الجزائري، لإبراز أهمية هذه المواقع في التاريخ، وضرورة المحافظة عليها وحمايتها من الضياع والاندثار، مع إمكانية جعلها مواقع استقطاب سياحي بامتياز فكيف يمكن استغلال الموروث الثقافي المادي موضوع الدراسة والمحافظة عليه وجعله عنصر فعال في التنمية السياحية وقد اخترنا في دراستنا مدينة من الشرق الجزائري وهي قسنطينة ومدينة بالغرب الجزائري وهي مازونة لإبراز التاريخ المشترك لهذين المدينتين والتراث المختلف والذي



تتحكم فيه طبيعة المنطقة، وتتلخص إشكالية الدراسة في إبراز تاريخ المدينتين ووجد معالمها الأثرية ؟ وقد اتبعنا في بحثنا المنهج التاريخي والمنهج الوصفي لوصف المعالم الأثرية، وتوصلنا من خلالها إلى عمل مقارنة بين مدينتين مختلفتين في القطر مشتركين في التاريخ، بإحصاء معالمهم.

2. الموقع الجغرافي لقسنطينة و تاريخها وأثارها

1.2 . الموقع الجغرافي لقسنطينة :

تقع مدينة قسنطينة فلكيا على خط عرض (36,23) شمالا و خط طول (7,35) شرقا¹، فهي بذلك تتوسط إقليم شرق الجزائر، حيث تبعد مسافة 245 كلم من الحدود الشرقية الجزائرية التونسية، وحوالي 437 كلم من الجزائر غربا و36 كلم من سكيكدة على ساحل البحر شمالا، و 235 كلم عن بسكرة في الصحراء جنوبا²، وبذلك فهي تشكل المحور التي تتلاقى فيه شبكة الطرق عبر المدن في مختلف الاتجاهات. انظر: خريطة رقم 01

2.2. تاريخ وأثار مدينة قسنطينة

تذكر جل المصادر أن مدينة قسنطينة هي مدينة قديمة، واتفق على أنها كانت موجودة منذ القرن العاشر ق م³، وكانت من أقدم مراكز الاستقرار البشري لاشتغال موضعها على عوامل الاستقرار من التربة الخصبة والمياه الجارية والمخابئ الطبيعية، وإن تحدثنا عن مكانة قسنطينة في العهد النوميدي، ففي هذه الفترة اتسع عمرانها وزاد عدد سكانها، وأراد ملوك نوميديا وعلى رأسهم ماسينيسا أن تكون في مستوى قرطاجة كونه متأثرا بالثقافة القرطاجية، وقد ساعد الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي في هذا العصر على التطور، فاتسع عمرانها ببناء القصور الملكية والبيوت الخاصة، والصومعات والمعابد ومنازل الطبقة الميسورة، ومساكن الجيش ثم الطبقات الاجتماعية الأخرى كلها كانت داخل أسوار المدينة، محاطة بأبراج عديدة للمراقبة، وللمدينة بابين وهما على شكل نصف دائري فوقهم حائطا مسننا عليه رسوم وزخارف⁴، وهو ما دلت عليه الآثار التي تم اكتشافها في الركن الغربي للمسجد الكبير لمدينة قسنطينة وبحداث سيدي مبروك، ويمكننا أن نوضح مخطط قسنطينة العمراني في العهد الروماني فقد كانت المدينة تمتد على داخل مربع غير منتظم الأضلاع ويخترقه شارعان



واسعان الأول من الشمال الى الجنوب يصل بين أهم أبواب المدينة ، والثاني أفقيا من الشرق إلى الغرب ويربط بين المعبد والمسرح الروماني، وفي نقطة تلاقي الشارعين تقوم الساحة العمومية FORU M بينما تتشعب عنها وفي شكل شطرنجي شبكة من الطرق تربط بين مختلف أقسام المدينة⁵، وكانت مدينة قيرطة -قسنطينة- تشتمل على مدينتين: داخلية يحيط بها سور، وخارجية وهي أوسع نطاقا من الأولى ومساحتها تمتد غربا إلى جنان الزيتون، وبالجنوب الغربي إلى قشلة باردو، وشمالا إلى ضفة وادي الرمل⁶، وبعد 15 قرن من الحكم الروماني دخلت قسنطينة فترة من الاضمحلال، فشهدت عدة غزوات خربت وحطمت معظم معالمها سنة 308م، ليعيد تعميرها قسطنطين⁷ وقام بتنشيط التجارة والزراعة، وبذلك امتد العمران ولأول مرة خارج حدودها الطبيعية ووصل حتى سفوح جبل شطايا، حيث كانت سيرتا تمتد على شكل نواة تحيط بها ضاحية على شكل هلال على ضفتي وادي الرمال، وتزخر بالمساكن الأنيقة ذات الحدائق الغناء وشوارعها مرصوفة بالحجارة حسنة التخطيط كما كانت تشتمل على المرافق الصحية وكان بها عدد من الحمامات⁸.

وفي العهد الإسلامي كانت مدينة قسنطينة شأنها في ذلك شأن المدن الإسلامية التي تتشكل من نواة مركزية وبجوارها المرافق الأخرى، وهكذا نخلص للقول أن المخطط العام لقسنطينة في هذا العهد كان يتحكم فيه المركز والأبواب الرئيسة وبينها محاور المرور، بطرق ضيقة ومتعرجة، فهي تشكل مجموعة من الخلايا المتجاورة المرتبطة داخليا بدروب ضيقة تتكدس حولها المساكن، كما يلاحظ انعدام البناءات ذات الطابع العمومي باستثناء المساجد، وكان لكل خلية تجهيزاتها من دكاكين وحمامات، ولم يمتد العمران خارج المدينة إلا في شكل رياض الأمراء وميادين سباق الخيل⁹. ويصفها الإدريسي وصفا مفصلا يقول فيه أن مدينة القسنطينة على قطعة جبل من قطع مربع فيه بعض الاستدارة لا يتوصل إليه من مكان إلا من جهة باب في غربها ليس بكثير، وهذه المدينة يحيط بها الوادي من جميع جهاتها كالعقد مستديراً بها وليس للمدينة من داخلها سور يعلو أكثر من نصف قامة إلا من جهة باب ميلة وللمدينة بابان باب ميلة في الغرب وباب القنطرة في الشرق¹⁰ يذكر لنا حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا عام 933هـ/1529م ، فيقول أن المدينة تقع على جبل شاهق، تحيطها من الجهة الجنوبية صخور،



ومن الجهة الشمالية أسوار، والصعود إليها عبر طريقين ضيقين وأبواب المدينة جميلة ، وهي متحضرة جدا ومليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة، ويصف أسواقها بالحسنة التنسيق، ويوجد بالجانب الغربي للمدينة قلعة كبيرة بنيت زمن تأسيس المدينة¹¹. انظر الخريطة رقم 03. كان لقدم الأتراك أثر في بلورة مخطط المدينة، حيث أعادوا تخطيطها ويصف الورثياني مخططها في هذه الفترة فيذكر أن عليها سور كبير به ثلاثة أبواب، وفيها بويب صغير يخرج منه الأدمي، وفيها أسواق كثيرة، ودكاكين طيبة وبها خمسة مساجد جامعة، وبها قصبة، وهي محصنة تحتها واد كبير مأوّه عذب منه يشربون¹². من المعلومات التي جادت بها بعض كتابات الرحالة الأجانب الذين كتبوا عن الحياة العمرانية لمدينة قسنطينة، حيث يقول أحدهم أنها متقنة البناء جزء منها مبني بالحجر والجزء الآخر مبني بالطوب، مغطاة بالقرميد، ولها قنطرة قد سقط منها قوسان¹³، وزار شاو المدينة في عهد الباي حسن باي بوحنك 1125-1149هـ/1736-1713م فيذكر ان الباي أتى بأعمدة من حجر الغرانيت من الموقع المسمى تاتوبنت واستعملها في بناء جامع سوق الغزل، ويذكر القنطرة والقصبة وما بقي ظاهرا من معالم المدينة القديمة¹⁴، ففي عهد حسن باي بوحنك المتوفي سنة 1168هـ/1754م الذي اهتم بعمران مدينة قسنطينة، فنسق شوارعها وطرقها، وشيد بها الجامع الأخضر الذي دفن به¹⁵.

كتب مارمول كبرخال في القرن السادس عشر الميلادي وعاصر في ذلك حسن الوزان إذا يفصل بين المؤلفين أربعين سنة، ومما يذكره حول وصف مخطط المدينة يقول " مدينة عتيقة جدا كبيرة ممتدة.... وهي عاصمة إقليم نوميديا الجديدة...وهي من بناء الروم كما تشهد على ذلك جدرانها المبنية بحجارة منحوتة ضخمة سميكة، وقسنطينة ذات موقع ممتاز تجاورها من جهة الجنوب صخرة شديدة الانحدار ينبع منها نهر، وأسوارها صالحة جدا في جانبا الشرقي وجانبا الشمالي، وتمتاز أزقتها وساحاتها بتخطيط بديع...¹⁶. أما في الفترة العثمانية فقد اختلفت الروايات في تاريخ دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة واستقرارهم بها فيذكر فايست Vayssette أنه كان سنة 923هـ/ 1517م وقد اعتمد في إثبات ذلك على وجود رسم شرعي، وهو عبارة عن عقد مؤرخ بتاريخ 935هـ/ 1528م ويتضمن معلومات عن الأوضاع التي آلت إليها حديقة الحامة بعد سقوط المدينة، وعليه ختم رمضان باي وهو أول باي تركي عين



بالمدينة مما يدل على مجيئهم إليها في أيام خير الدين¹⁷، غير أن المؤرخ ارنست مارسي لا يتفق ويذهب الى أن سنة 925هـ/ 1519م هو تاريخ بداية الحكم التركي بقسنطينة¹⁸، فيما ذهب هايدو إلى اعتبار سنة 926هـ/ 1520م وكان ذلك على اثر فتح خير الدين لمدينة القل وما جاورها، وباعتبار أن القل كان يمثل المنفذ الرئيسي لتجارة المدينة ومنه دخلت مدينة قسنطينة لتلقائيا تحت الحكم العثماني¹⁹، ويؤيده في ذلك مارسي الذي يذكر أن قارة حسن بعد دخوله القالة واصل السير إلى قسنطينة عام 925هـ/ 1519م²⁰ تاريخا لإخضاع المدينة من طرف العثمانيين جعله دافيني سنة 929هـ/ 1522م.

ويذكر محمد المهدي بن شعيب أن الأتراك جاءوا إلى قسنطينة حوالي سنة 933هـ/ 1526م ولكن الاضطرابات والقلال جعلتهم يتخلون على الحكم المباشر ويكتفون بالطاعة الاسمية الظاهرة ويذكر هنا قول اللبيري في تاريخه علاج السفينة في بحر قسنطينة أن دخول الترك إلى المدينة كان سنة 932هـ/ 1525م وهي السنة التي توفي فيها أمير تونس أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي الذي ملك البلاد الجزائرية لعروج وعليه ختم رمضان باي²¹، ثم خرجت قسنطينة عن طاعة الأتراك إلى طاعة الحفصيين الذين استردوها عام 933هـ/ 1526م في أيام الحسن بن محمد الحفصي²²، ويرجح محمد بن صالح العنتري سنتي 1640م 1641م²³، غير أن أول إشارة ظهرت في الأخبار الأهلية كانت تتحدث عن سنة 945هـ/ 1567م وهذا بالتزامن مع ثورة سكانها ضد السلطات التركية، وبالتالي فوجود الثورة لا بد وأن يسبقه الإخضاع، ثم خرجت مدينة قسنطينة عن طاعة الأتراك واستردوها بالقوة عام 979هـ/ 1572م ولم تستطع هذه المرة الخروج عن طاعتهم²⁴. وقد شهد عمران المدينة في العهد العثماني بقسنطينة تطورا لم يشهده من قبل، كما يتضح أن قسنطينة كانت بها ساحات عمومية عديدة، تضم مسجدا وسوقا ومحلات الحرف والإدارة، تتداخل هذه الأقسام في بعضها مشكلة شبكة من الشوارع الضيقة والمتعرجة، وكانت مناطق السكن على نوعين منطقة السكن الكثيف بجوار الخلية المركزية، حيث منازل الطبقات الميسورة والبرجوازية، لقربها من مركز الأعمال، وسعر الأرض بها مرتفع وهو ما جعل مسكن هذه المنطقة خالية من الحدائق، أما المنطقة الثانية وهي



منطقة الضواحي فتسكنها الطبقات الدنيا والمهاجرون الجدد إلى المدينة، وكان لكل منطقة مسجدها الخاص²⁵.

وفي أواخر العهد التركي وبداية الاحتلال الفرنسي كانت قسنطينة في وضع اقتصادي متدهور، ويزودنا بربورج بقائمة للمنشآت الدينية بالمدينة في سنة 1867، ومنها جامع القصبة الكبير الذي خرب وجامع سوق الغزل الذي حول آنذاك إلى كنيسة، الذي يقع غرب شارع ديدوش مراد ويعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 1143هـ/1737م أي فترة حكم الباي حسين²⁶، وجامع رحبة الصوف الكبير الذي حول إلى مستشفى مدني في فترة الاستعمار ثم استعاد نشاطه بعد الاستقلال، يقع هذا المسجد في المكان المسمى رحبة الصوف بشارع سيدي لخضر والنهج المعروف ب"كامب"، وقد بني المسجد سنة 1156هـ/1743م²⁷، وكان ذلك على يد الباي حسن بوحنك الحاكم مابين (1149. 1168هـ/ 1736. 1754م)²⁸، ومسجد الكتاني الذي يقع المسجد ضمن نطاق يعرف بسوق العصر حاليا، بني في سنة 1190هـ/1776. 1777م²⁹، على يد باي قسنطينة صالح باي (1185. 1207هـ/ 1771. 1792م)³⁰، حيث بنى المسكن وبني بجانبه المدرسة ومسكنه، وقد دخلت هذه المعالم في الفترة الأخيرة في برنامج الترميم إلا أنها دامت لسنوات ولم تكتمل إذ نشاهد حالة المتدهورة التي وصلت إليها، باستثناء الجامع الكبير الذي سلم سنة 2016. انظر اللوحة رقم 02، 03. ومساجد أخرى، والتي خرب العديد منها في فترة الاحتلال الفرنسي للمدينة، إضافة إلى ثلاثة عشر زاوية، والتي حضت بمداخل معتبرة من الأوقاف³¹، وكانت هناك مرافق أخرى كالأسواق على غرار سوق للنجارين والرقاقين، حيث وجد بالمدينة سوق خاص بالخشب أين يزاول القصابون والخراطون نشاطهم في نجارة الأبواب والنوافذ وغيرها من الأثاث والأواني والمنتجات الخشبية الأخرى³²، وامتدت المرافق خارج أسوار المدينة كما هو الحال بالنسبة لمصنع البارود على عهد أحمد باي، وكانت تتركز المدايق وورشات تصبغ الجلد والنسيج على مجارف الجروف العميقة³³.

3. الموقع الجغرافي لمازونة وتاريخها وأثارها

1.3. الموقع الجغرافي لمازونة



تقع مدينة مازونة في قلب جبال الظهرة، وتبعد حوالي 200 كلم عن عاصمة الإقليم الغربي وهران، 230 كلم عن الجزائر العاصمة، وتتربع مازونة على مساحة تقدر بـ 41 كلم²، وهي تابعة إداريا لولاية غليزان والتي تبعد عنها بـ 66 كلم.

2.3. تاريخ وأثار مدينة مازونة

مدينة مازونة من المدن المعروفة بتاريخها العريق، وهذا ما ترويه الشواهد المادية التي مازالت قائمة بها، ورغم ذلك فإن التعريف بتاريخ المدينة يعتريه بعض الغموض وذلك لقلة المصادر والوثائق التي تورد تاريخ واحد لتأسيس المدينة. فاختلف المؤرخين حول تاريخ تأسيس المدينة، لكن أغلبهم يؤكدون أن المدينة تعاقبت عليها عدة حضارات، منهم من يذكر أن مازونة تأسست من قبل الأمازيغ والدليل أنها كانت مركزا بربريا والشاهد على ذلك كثرة الأسماء البربرية التي تعرف بها أحيائها وجبالها وعبون الماء فيها المخلفات الأثرية، كما أطلقت أسماء بربرية لثلاثة من أحياء المدينة وهي تاسرت (Tasserte) وأجدير (Adjedir) وأدليل (Adelil)³⁴. ويذكر عمران مازونة عدة مؤرخين وجغرافيين ومنهم الزياني الذي يقول أنمنديل هو الذي اختط مازونة التي كانت بها القبيلة، واندurst سنة خمس وستين من القرن السادس³⁵، ويوافق في ذلك أبو راس الناصري، ويذكر شاو أن بناء المدينة كان في العهد الإسلامي وهي تشبه في مخططها بناء القلعة – ويقصد هنا قلعة بني راشد التي تأسست حوالي القرن السادس للهجرة في بطون مغراوة³⁶، ويذكر حسن الوزان أن للمدينة جامع وبعض مساجد أخرى، وقد كانت مدينة متحضرة جدا في القديم، لكنها كثيرا ما تعرضت للتخريب من قبل ملوك تونس تارة ومن قبل الثوار تارة أخرى، وبالتالي من الأعراب ينقلون كواهلهم بالإتاوات، والأراضي المزروعة جيدة تعطي غلة حسنة، ويشاهد بقرب المدينة أماكن خربة مما كان بناه الرومان – لا تحمل أي اسم معروف لدينا – لكن يدل على أصلها الروماني العدد الوافر من الكتابات المنقوشة على قطع الرخام³⁷.

وفي العهد العثماني شهدت المدينة مكانة مرموقة لدى العثمانيين، ولم يستسلم سكان مازونة للعثمانيين في بادئ الأمر، بل ناضلوا ودافعوا عن حريتهم قرابة نصف قرن من الزمن، والذي وانتهى بتسليم المدينة وإقامة الحكم العثماني وتعيين الباشا لإيالة مازونة لمدة



سنتين³⁸، وفي هذه الفترة قسم بايلك الغرب بين بايين في بداية الأمر الأول منهما بمازونة، والأخر بتلمسان³⁹. عرفت مدينة مازونة في هذه الفترة مكانة سياسية هامة واتخذت عاصمة لبايك الغرب في عهد البايبراي حسن بن خير الدين بربروس باشا، سنة 969هـ/1562م، وهو البايك الثاني في المرتبة لكون الترك تولوا على الغربية وجعلوا فيها باي قبل الجهة الشرقية⁴⁰، ووقع عليها الاختيار لما يتميز به موقعها الاستراتيجي الحصين بجبال الظهرة بين تنس ومستغانم، وعينت كعاصمة للباي لكوعين ابن خديجة أول باي على الباي لكسنة 970هـ/1563م⁴¹، واستمرت مازونة عاصمة لبايك الغرب الجزائري حتى 1112هـ/1700م، وفي عام 1113هـ/1701م، انتقل مركز عاصمة بايلك الغرب من مازونة إلى قلعة بني راشد، وقد تداول على حكم مازونة سبعة عشر بابا في مدة قرن ونصف قرن، وأول باباتها حسن بن خير الدين باشا وسلم في وظيفه، ثم أبو خديجة ثم صواق ومات مسموما من سم سقته له زوجته، ثم السايح وبقي في الحكم إحدى عشر سنة ومات، ثم ساعد ومنه إلى محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باباتها ثم شعبان الزناقي الذي بقي في الحكم ثمان سنوات وتوفي سنة 1094هـ/1686م بالجهاد في هران⁴²، يأتي بعده الباي إبراهيم خوجة والذي أعد حملة من مازونة إلى وهران فحاصرها وشرع في قذفها، لكنه رفع الحصار مضطرا وعاد إلى العاصمة للمشاركة ضد الهجوم الذي قام به الماريشال دوستري⁴³ وبقيت جهود أوجاق الجزائر لفرض سلطانهم على الجهة الغربية وتحريرها من الاحتلال الاسباني متواصلة، وبعد فشل حسن بن خير الدين في ولايته الثانية في تحرير وهران، ترك حاميته بجبال الظهرة لتكون درعا له لأي هجوم محتمل من الأسبان، وكان مستعدا لمساعدة مستغانم وقلعة بني راشد، هذين الآخرين اللذين كان يساعدا نوبة تلمسان⁴⁴

وفي فترة حكم الدايات (1082-1246هـ/1671-1830م) والتي تميزت باستقلال الجزائر عن الدولة العثمانية، عين فيها مصطفى بوشلاغم ابن يوسف بن محمد ابن إسحاق المسراتي على الغرب الجزائري، وتولى بايا على مازونة وتلمسان وهو أول من جمعت له الايالة الغربية بتمامها سنة 1098هـ/1686م، ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معا للقلعة، ثم المعسكر لكونها وسطا بين مازونة وتلمسان⁴⁵، ولعب هذا القائد دورا كبيرا في طرد الإسبان سنة



1120هـ/ الموافق ل 6 أفريل 1708م من وهران والمرسى الكبير، وتمت هذه العملية في عهد الداي محمد بكداش⁴⁶، وبقيت وهران تحت حكمه لمدة ربع قرن، والتي استعادها بعد ذلك الإسبان سنة 1145هـ/ 1732⁴⁷، وذلك في عهد الملك فليب الخامس، ورغم شجاعة باي الغرب بوشلاغم وجنوده لم يستطيعوا صد هذا الهجوم لكثرة القوات الإسبانية⁴⁸، كما يذكر عبد القادر بن عبد الله المشرفي في قوله "...حيث فيض للأتراك الجزاير وصير فيها باشتها الشريف الفقيه السيد أبا عبد الله محمد بكداش خوجة ابن الفقيه أبا الحسن علي داني بن محمد النكدالي سنة 1118هـ/ 1706م، والحال أن باي الإيالة الغربية الجامع بين أيالة مازونة وتلمسان، السيد مصطفى أبا الشلاغم بن يوسف المسراتي كان رابطا على وهران وملازما لجهاد النصاري راميا فتحها⁴⁹، كما حدث سنة 1113هـ/ 1701م في فترة حكم الباي مصطفى بوشلاغم أن قام ملك المغرب مولاي إسماعيل بمحاولة للسيطرة على البايك، فتصدى له الجيش العثماني بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم مدعما من طرف باي الجزائر، وبعد هذا الانتصار استطاع أن يجمع شتات المخزن الداعم للسلطان ويضمه للبايك والمتكون من فرسان الزمالة والدواوير والعبيد والغرباء الذين انقلبوا طواعية بعد هزيمة السلطان إلى صف المنتصر⁵⁰، وعندما تولى كارلوس الثاني وهو شارل الثاني سنة 1082هـ/ 1671م بقيت وهران تحت حكمه، وفي أيامه تولى الباي شعبان أحد الأتراك أيالة مازونة وغيرها من شرقي المغرب الأوسط في حدود 1090هـ/ 1679م⁵¹، ويذكر مالستان عند زيارته للمدينة في بداية الفترة الاستعمارية أن عاصمة جبال الظهرة مازونة التي يتراوح سكانها بين الألفين والثلاثة آلاف وهي مدينة عربية خالصة، وكانت الأولى من هذا النوع الذي رأيته في الجزائر والذي احتفظ بطابعه العربي، وقد كان أسلوب العمارة في هذه المدينة الداخلية طبعاً أبسط وأفقر بكثير من الحي العربي في مدينة الجزائر، إلا أنها في جوهرها من نفس النمط⁵².

عند دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر عام 1256هـ/ 1830م، كانت مازونة تعيش صراعات داخلية، وأرغم بعض سكانها على الانتقال إلى السهول المجاورة مشكلين مجموعة من الدواوير⁵³، وبعد مبايعة الأمير عبد القادر لقيادة المقاومة، وجد معارضة من بعض العائلات المرابطة بمازونة وذلك لخوفهم من فقدان مكانتهم، وفي سنة 1259هـ/ 1843م دخلت مازونة



قوات الجنرال جونتيل، مع قوات الماريشال بيجو، وأعلن قائد الأتراك تبعيته لفرنسا، وكان رد الأمير عبد القادر على هذا الموقف بأن طلب من المازونيين الانضمام إليه، لكنهم رفضوا، فقاوم أتراكها، وقام بإحراق مخزن بوعلوقة وأباح الحي التركي، ونفى مجموعة من الكراغلة بعد هزيمتهم إلى تاقدامت⁵⁴، وبعدها شارك سكان مازونة في المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر وفيها أعاد الأمير النظر في التقسيم الإداري العثماني حيث قسم الدولة إلى عدة مقاطعات إدارية تخضع إلى نظام تسلسلي الخليفة ليك، الأغا ليك، والقياد فعينت مازونة مركزاً "قائداً" يرأسها قائد⁵⁵، لتبدأ العمليات الجهادية ضد الاستعمار الفرنسي ففي سنة 1254هـ/ 1838م قاد الجيش المازوني سي قدور تحت لواء الأمير عبد القادر، وفي سنة 1260هـ/ 1844م أصبحت مازونة لمدة قصيرة عاصمة الثائر بومعزة⁵⁶، الذي أعلن نفسه سلطاناً فيها في ربيع سنة 1261هـ/ 1845م⁵⁷، الذي تغلب عليه في النهاية سانت أرنو، في ربيع سنة 1261هـ/ 1845م، والمعروف أن هذه الحرب انتهت بمأساة مريعة وهي إحراق أو خنق الآلاف من البدو بواسطة الدخان كانوا قد التجأوا إلى مغارة فريشخ في جبال الظهرة⁵⁸، وفي هذه الفترة يذكر مالستان، أنه لم يكن يوجد في مازونة عند دخوله إليها سوى أوربي واحد هو الملازم لوقا رئيس المكتب العربي⁵⁹، وفي سنة 1286هـ/ 1869م خمدت ثورات مازونة ودخلت تحت الحكم الفرنسي، وفي سنة 1288هـ/ 1871م تم اقتطاع أراضي من أملاك مديونة وتم تأسيس بلدية أطلق عليها إسم رونو⁶⁰.

وتشهد الآثار الموجودة حالياً بالمدينة على عراققة المدينة، حيث نرى أثار رومانية منتشرة على أطراف المدينة، والتي أهملت رغم أهميتها. انظر اللوحة رقم 04

كما تضم المدينة عدة معالم أهمها مسجد ومدرسة الشيخ بن شارف والتي تحظى بعناية من قبل القائمين عليها، تأسست هذه المدرسة في أوائل القرن الحادي عشر هجري على يد محمد بن شارف والذي درس بها نحو 64 سنة إلا أن توفي سنة 1164هـ وهذا ما توضحه الكتابة التأسيسية على لوحة رخامية على يمين المدخل الرئيسي للمدرسة. انظر الصورة رقم



يوجد بالمدينة حمام يعود للفترة العثمانية، يقع بالجهة الجنوبية للمدينة مقابل مدرسة ومسجد الشيخ محمد بن الشارف، يتخذ الشكل المربع وسقف عال تغطيه قبتين، ومازال يقوم بهيمته لحد اليوم، وشهد المعلم عدة ترميمات إذا ما زال يظهر بوضعية حسنة ومحافظ على اغلب عناصره الأصلية. وتظهر المنازل التي أخذت الطابع الإسلامي في تخطيطها والتي مازالت قائمة إلى يومنا تصارع العوامل الطبيعية القاسية والأنانية الإنسانية حيث تهدم بعضها ورمم بعضها بطريقة عشوائية قضت على أغلب عناصرها، وهي التي كانت بالأمس محل إعجاب المؤرخين والرحالة وفي ذلك يقول الإدريسي أن بها مساكن مونة⁶¹، أما حسن الوزان فيعطينا صورة عن حالة المساكن في القرن الخامس عشر يقول لكن دورها قبيحة فقيرة⁶²، كما تتميز بعدة أنماط سكنية من حيث الشكل الخارجي إلى جانب الهندسة الداخلية للمساكن والتي تتميز باتساع الوحدات والتصميم المعماري، ونرى أن نمط المساكن التقليدية بها عربية الطراز⁶³ كما ذكر ذلك الرحالة الألماني هاينريش مشيدا بعمارها " أن مازونة مدينة تأخذ الطابع العربي، وأنها تأخذ الشكل المربع، وهي ذات طابق واحد تغطيها السطوح مبنيا من الحجر، وذلك يعني بالنسبة لمدينة تقع في داخل البلاد درجة عالية من العمران، وكان الدهان الأبيض يخلع على هذه البيوت منظرا لطيفا ضاحكا " ⁶⁴، وتأخذ شكل بناء المنزل المكون من غرف منفصلة تجتمع حول ساحة أرضية صغيرة مشتركة يطلق عليها محليا الحوش، تنجز فيها معظم الأشغال المنزلية وهي عامل من العوامل بتماسك العائلة العربية الكبيرة، وشوارع المدينة ضيقة التي جلس فيها سكانها⁶⁵

تتميز مدينة مازونة بتفرعها إلى أربعة أحياء حيث كان لكل حي مسجده الذي تقام به صلاة الجمعة بحيث ينطلق تفرعها من الساحة العمومية وهي على التوالي: انظر خريطة رقم 05. في الغرب: حي أول السايحي الشرق:حي تيسارتي الشمال: بوماتع الملك الذي حط رحاله بها . وفي الجنوب: حي القصبة المعاش للفترة العثمانية (وتتفرع من هذه الأحياء الثلاثة الكبيرة أحياء صغيرة كان واحد خاص بالأتراك وآخر خاص باليهود⁶⁶، وهو أيضا ما يذكره الكاتب مولاي بلحميسي على تواجد هاته الأحياء في العهد العثماني⁶⁷، قام بخطها الحسن ابن خير الدين بعد



اختياره مازونة عاصمة لبابليك الشرق. وقام بتأسيس حي التوبة بصفته مستقر البايات وأسكن الكراغلة والأتراك حي القصبة وفي جزء من حي أبو مائع.

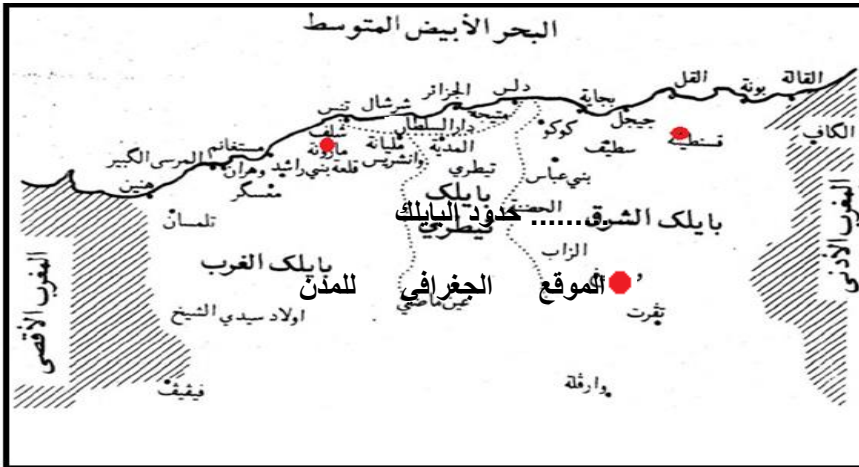
تظهر لنا المنطقة ككتلة من التجمع السكاني في كل حي من تلك الأحياء بهيكل بنائها المتميز، بالإضافة إلى طابع أزقتها المتميز والتي أغلبها ما بين 2 و3 أمتار، وقد تضيق في بعضها، فالطرق الرئيسية تكون أكثر اتساعا وذلك لتستجيب لضروريات التنقل للراجلين والدواب بأحمالها خاصة منها الطرق المؤدية إلى الأحياء الكبيرة والمرافق العمومية، وهناك أزقة ضيقة تفتح إليها أبواب المنازل ولكل منها مسلك أو درب له تسميته الخاصة في المدينة، يتوسطها ساحة كبيرة مكشوفة تتراوح مساحتها بين 99 و100م. وتسمى هذه المساحة بالجماعة حيث تناقش فيه القضايا الاجتماعية، كما يعد مكان تجتمع فيه كل أفراد المدينة في مختلف المناسبات، كما أنها تنمي روح الجماعة والتماسك الاجتماعي وهذا ما لمسناه عند زيارتنا للمدينة، وهو الفضاء الذي يقضي فيه المازونيون أوقات راحتهم بعد يوم شاق من العمل وتمارس فيه أيضا الصناعات التقليدية. وأما ما بقي من معالم الفترة الفرنسية فهو مسبح المدينة والذي يقع جنوب غرب واد تامدة، يتربع على مساحة 400 م²، يصب فيه منبع طبيعي، بني في الفترة الاستعمارية بنمط أوروبي، أما حاليا فهو مهمل تهدمت أغلب عناصره.

4. خاتمة:

تتوفر الجزائر على تراث مادي كبير، حيث تعاقبت عليها الكثير من الحضارات والتي تبدأ من فترة ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، وتعد مدينة قسنطينة ومازونة من أعرق المدن بتاريخها الممتد في جذور التاريخ، إلا أننا نجد مدينة قسنطينة ازدهرت وتطورت بفعل وقوعها في منطقة تقاطع بين الجهات، أما مازونة والتي تقع في موقع محصن فإن اهتمام الحكام به كان لفترات محدودة حيث كانوا يلجئون إليه في حالات العصية أثناء الحروب، لذلك كانت مرحلة تكوينها مرحلة انتقالية كما نجد نقص ذكرها في المصادر التاريخية وذلك لبعدها عن طريق الذي كان يسلكه المؤرخين والجغرافيين، ولكن رغم ذلك لا يمكن تهميشها وذلك من خلال ما تروىها لبعض المصادر التاريخية، ورغم هذا الفارق في أهمية المدينتين إلا أن مدينتي قسنطينة ومازونة من أغنى المدن التي تحوي مورث ثقافي مادي وهذا ما يؤهلها لأن يكون

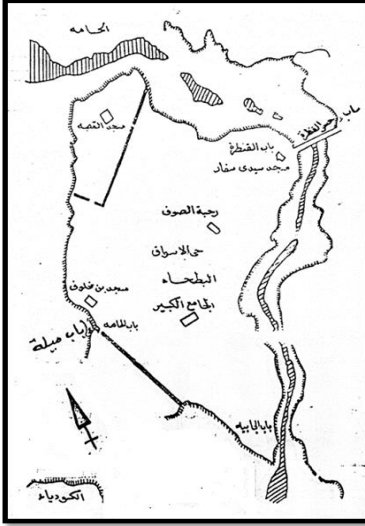
قطبا سياحيا، وجعل المعالم الأثرية ثروة ثقافية وضرورة المحافظة عليها، إذا أننا نجد آثار المدينتين مهملة في الطبيعة دون رعاية مما يعرضها للضياع والاندثار. لذلك يجب الاهتمام بالتراث المادي وصيانه وتثمينه من طرف الجهات المختصة، والتنقيب والبحث على الآثار التي مازالت مدفونة تحت الأرض، لكتابة تاريخ المدينتين من خلال الشواهد المادية.

5. الملاحق:



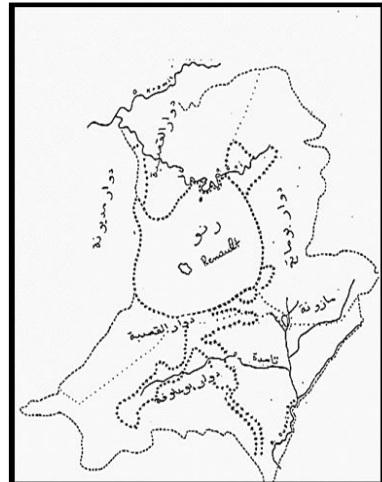
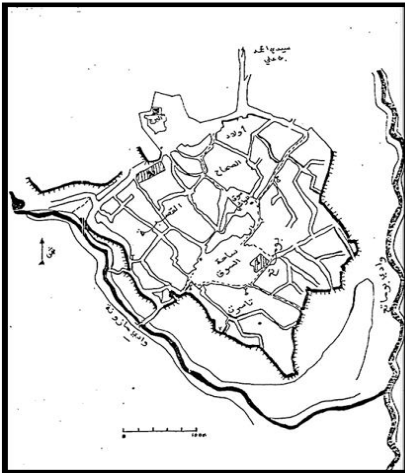
الخريطة رقم 01: الحدود الإدارية للجزائر في العهد التركي ومواقع المدن

المدرسة



خريطة رقم (03): قسنطينة في العهد التركي (عن عبد العزيز فيلاي)

خريطة رقم(02): قسنطينة في العهد الإسلامي (عن عبد العزيز فيلاي و عبد



خريطة رقم(05): مدينة مازونة في الفترة
الاستعمارية (عن جيلالي صاري)



خريطة رقم (04): مدينة مازونة في الفترة
العثمانية (عن جيلالي صاري)



اللوحة رقم (01): اثار رومانية بمدينة قسنطينة



اللوحة رقم (02): الجامع الأخضر بقسنطينة وتوقف عملية الترميم به

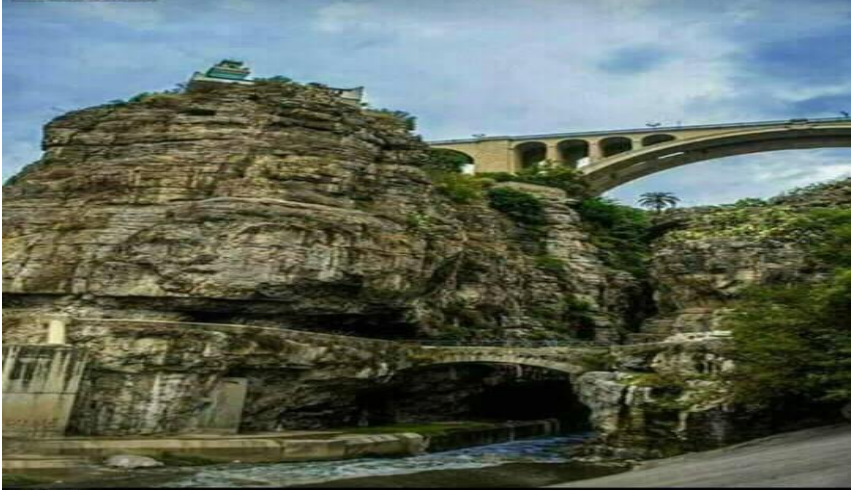


صورة رقم (01): جسر قسنطينة السفلي والعلوي



صورة رقم (02): مساكن قسنطينة نحو الاندثار (مسكن بن رامول)





اللوحة رقم (04): اثار رومانية مهملة في الطبيعة بمدينة مازونة





صورة رقم (04): تغير طراز المدينة القديمة وغزو العمارة الحديثة



صورة رقم (05): مسجد بن عزوز بوسط المدينة والمرجح أنه يعود
للفترة الموحدية

صورة رقم (04): تغير طراز المدينة القديمة وغزو العمارة الحديثة



صورة رقم (07): المحكمة الحثمانية بمازونة

صورة رقم (06): مسجد ومدرسة ابن الشارف بمازونة أهم صرح أثري بالمدينة



صورة رقم (08): عين بوسط ساحة مدينة مازونة





صورة رقم (09): ربط المساكن بشبكة الكهرباء والغاز على الجدران مباشرة وما تحدثه من انهيارات





اللوحة رقم(05): المسيح بين الماضي واليوم

6. التهميش:

¹ - محمد الهادي لعروق ،مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 13.

² - نفسه، ص 16.

³ - محمد المهدي بن علي شغيب، ام الجواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، الجزائر، 1980، ص 07.

⁴ - عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة في العصور الوسطى، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م ، ص 13.

⁵ - نفسه، ص 16.

⁶ - عبد الرحمن الجيلالي، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965، ص 105.



- ⁷ - وهو قيصر الروم الذي ولد سنة 274م وحكم ما بين 306مالي 337م، وخاض حروبا كثيرة ضد الفرنج والقوط وانتصر عليهم، ونقل مقر مملكته من رومة القديمة الى رومة الجديدة المعروفة باسم بيزنطة وسماها القسطنطينية. انظر: محمد المهدي بن علي شغيب، المرجع السابق، ص 08
- ⁸ - محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 44.
- ⁹ - نفسه، ص 79.
- ¹⁰ - الادريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ليدن، 1863، ص ص 94، 95.
- ¹¹ - حسن الوزان، إوصاف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج 2، ط 2، لبنان، 1983، ص ص 55-57.
- ¹² - الورتيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيانية، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1394هـ/ 1974م، ص 685، 689.
- ¹³ E.Vayssettes, «Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837», in: Recueil des - Editions - Notices et Mémoires de la société Archéologique de la province de Constantine, 1867 Bouchene, 2002, p 107.
- ¹⁴ - Shaw Tomas, Voyage dans la Régence d Alger, Traduit de l anglais J.MAC CARTHY, Paris, 1830, P.364-365, 377.
- ¹⁵ - محمد الصالح بن العنثري، العنثري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007، 71-72. الحاج احمد بن المبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، تصحيح وتعليق عبد القادر نور الدين، المدرسة العلمية للدراسات العربية، الجزائر، 1952، ص 20-21.
- ¹⁶ - مارمولكريخال، إفريقيا، ج 3، الرباط، ص ص 11، 12.
- ¹⁷ - نفسه، ص 116.
- ¹⁸ Ernest.Mercier, Histoire de Constantine, J.Marler ETKF, Biron imprimeurs éditeurs, Constantine, 1911903, p 190.
- ¹⁹ F.D.de. Haédo, Histoire des Rois d Alger, Traduite et Annotée Par H.D.DE Grammont,, Alger, 1881, P.37
- ²⁰ - E. Mercier, op-cit, P189



- ²¹ - محمد المهدي بن علي شغيب، المرجع السابق، ص ص 115، 151.
- ²² - نفسه، ص 152.
- ²³ - محمد بن الصالح العنثري، المصدر السابق، ص ص 6، 7.
- ²⁴ - محمد المهدي بن علي شغيب، المرجع نفسه، ص 152.
- ²⁵ - عبد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 76.
- ²⁶ - عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009، 2010، ص ص 274-276.
- ²⁷ - رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص ص 157، 161.
- ²⁸ - عبد القادر، المرجع نفسه، ص 288.
- ²⁹ - رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص ص 179، 180.
- ³⁰ - محمد المهدي شغيب، المرجع السابق، ص 240.
- ³¹ - A. Berbrugger, Province de Constantine, les anciens établissements religieux musulmans de Constantine, revue africaine, n°68, 1868, Op.cit, p 128, 130.
- ³² - E. Mercier, Constantine avant la conquête française 1837, op.cit, p 88.
- ³³ - محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص 76.
- ³⁴ - Youcef Loukil, Mazouna(ancien capitale e dahra) Imprimerie Algérienne, 1919 p p , 13,14.
- ³⁵ - الزباني، المصدر السابق، ص 77.
- ³⁶ - SHaw Thomas, op cit. p 252.
- ³⁷ - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 36.
- ³⁸ - cit p17. Youcef loukil, op.
- ³⁹ - يعي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب، وهران، 2002، ص 80.
- ⁴⁰ - بن عودة المازري، المصدر السابق، ص 270.
- ⁴¹ - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، ص 104.
- ⁴² - بن عودة المازري، المصدر السابق، ص ص 270، 271.
- ⁴³ - يعي بوعزيز، المرجع السابق، ص 93.



- ⁴⁴ - E.Mercier, Histoire de LAfrique septentrionale depuis les temps les plus recules jusqu a la
conquête Français (1830)ed . Ernest leroux. Paris, p 137.
- ⁴⁵ - بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص 275.
- ⁴⁶ - عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة، الجزائر، 2002، ص 100
- ⁴⁷ - بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص 24.
- ⁴⁸ - عمار عمورة، المرجع السابق، ص 101.
- ⁴⁹ - عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت راية الإسبانين بوهان من الأعراب كني
عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ص 24.
- ⁵⁰ - E Mercier. Op. cit. p 322.
- ⁵¹ - بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 229.
- ⁵² - هاينريش فون مالستان، المصدر السابق، ص ص 236، 237.
- ⁵³ - M Belhamissi, op. cit, p 55.
- ⁵⁴ - op. cit, p 90.
- ⁵⁵ - JaquesBerque :Retour de Mazouna(annales économiques ,sociétés ; civilisations) 27 èmeannée -
N°1 Janvier- Février 1972 p153.
- ⁵⁶ - وإسمه الحقيقي محمد بن عبد الله من المغرب وكان ينتهي الى الطريقة المعروفة بالمغرب بإخوان مولاي
الطيب. انظر هاينريش فون مالستان، المصدر السابق، ص 241، 242.
- ⁵⁷ - نفسه، ص ص 241، 242.
- ⁵⁸ - نفسه، ص 236.
- ⁵⁹ - نفسه، ص 237.
- ⁶⁰ - M Belhamissi, op.cit. p 83.
- ⁶¹ - الادريسي، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، تصحيح ونشر هنري بيريس، دار الكتب، الجزائر، 1957،
ص 72.
- ⁶² - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 36.
- ⁶³ - حمدان بن عثمان حوجة، المراة، تحقيق: محمد العربي الزبيري، الطبعة الثانية ، ش.و.ن.ت. زعناية الجزائر
، 1982 ، ص52.
- ⁶⁴ - ها ينريش فون مالستان ، مرجع سابق ، ص237 ، انظر الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي) ،
مصدر سابق ، ص36.



⁶⁵ - هاينريش فون مالستان، المصدر السابق، ص 237.

⁶⁶ - جنات طاهر، مرجع سابق ، ص 97.

⁶⁷ - CIT , p44.Moulay Belhamissi, OP .